الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا من ظهره كما يوخذ بالمشط من
الرأس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال
ابن عباس اخرج من ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها في صلبه فليس احد
من الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيامة لا تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال السدي واخرج الله
آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي
ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين
واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين
على وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال محمد بن
كعب القرظي اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج
منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سوداء مثل الذر يتحركون
فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب
اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون
حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروى ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري
فلا تشركوا بي شيئا فاني سأنتقم ممن اشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل
عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب ارزاقهم
وآجالهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال هلا
سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه
فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز ان يكون الله تعالى جعل لامثال
الذر عقلا وفهما تعقل به كما في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم في هذه الآية ان الله تعالى اخرج
ذرية آدم من صلبه واصلاب اولاده وهم الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعة فاعترفوا
بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله
يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حين سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حين سمعت لامره
وانقادت ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا
بلى يعني قالت الذرية بلى انت ربنا فهو جواب منهم واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على انفسهم بالعبودية وفي
قوله شهدنا قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا على اقرارهم
فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستانف والقول
الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى
لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان تقولوا قرئ بالتاء على خطاب للذرية معناه لئلا تقولوا ايها الذرية يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين يعني الميثاق او تقولوا وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا الذرية انا كنا
عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الآية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية
وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الآباء وهم اولاد بني آدم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود
واشهدهم على انفسهم بما ركب عليهم من العقول واراهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته

بهذا

بهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه
التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته بيته
وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة
في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذ اخذ ربك
من بني آدم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب
والعقاب يوم القيامة **فان قلت** فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية **قلت**
المذهب الاول هو المختار لان جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **فان
قلت** اذا كان المختار من تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية
من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير هذه الآية على هذا القول **قلت**
قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم
في تفسير الفاظ الآية من ان الله اخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج
وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق يمكن الجمع امكن بين الآية والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الآية
ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا
بين الآية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر
آدم فاخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر آدم فقد اخرجهم من ظهور
ذريته لان ذرية آدم ذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفائدة بهذا الفصل بانه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس
ممن بلغ ولم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها والرسل المنفذة اليهم
مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فائدة اخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات منهم صغيرا دخل الجنة
باقراره بالميثاق الاول وعلى قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة انما كانوا صغارا فاما من لا يحكم لهم
بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السود انما اقروا بالمعرفة كرها فلم ينفع عنكم ذلك شيئا
ومن بلغ وعقل ولم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه
وخالقه ويصدق رسله فيما جاءوا به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق او الايمان بالله
ربنا غافلين او لئلا يقول الخلائق انما اشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم فلسنا ان نلحق ما كانوا عليه **فان قلت**
ذلك الميثاق لا يذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم وكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به **قلت**
لما اخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب آدم بطل ما ركب فيهم
فتوالدوا ناسين ذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل واصحاب
الشرائع فقام ذلك مقام الذكر لان الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف
فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم بذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيامة
لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ولا تسقط الحجة عنهم
بنسيانهم وحفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات وقوله تعالى او يقولوا يعني الذرية
انما اشرك آباؤنا من قبل يعني انما اخذت الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك افتهلكنا يعني افتعذبنا بما فعل المبطلون قال المفسرون هذا قطع
لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيامة انما اشرك آباؤنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)